فصــل
فيمن قاتل لإعلاء كلمة اللّه تعالى

قال الله القوي المتين: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

وقال الله العزيز الجبار: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: 15، 16].

- وروى الإمام أحمد (168) والبخاري (1) ومسلم (1907)، وغيرهم واللفظ للبخاري من طريق عَلْقَمَةَ بنَ وقَّاصٍ اللَّيْثيِّ يقولُ: سمعتُ عمرَ بنَ الخَطّابِ رضي الله عنه على المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّما الأعْمَال بالنِّيَّاتِ، وإنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا نَوَى؛ فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إلى دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إِلى ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إِلَيه».

- وروى الإمام أحمد (19510) والبخاري (123) ومسلم (1904) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، ويُقَاتِلُ شَجَاعَةً، ويُقَاتِلُ رِيَاءً، فأنَّى ذٰلِكَ في سَبِيلِ اللهِ؟ قالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا، فَهُوَ في سَبِيلِ اللهِ».

- وفي رواية عند مسلم (1904/ 151) من طريق جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ؛ أَن رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل؟ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ غَضَباً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ. وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِماً ـ فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ».

obeikandi.com

- وروى النسائي في «الكبرى» (4348) وفي «المجتبى»(3140)، بإسناد حسن، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ:

«لا شيء له».

فأعادها ثلاث مراتٍ يقول له رسول الله ﷺ:

«لا شيء له ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلّا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه».

- وروى الإمام أحمد (7905) وأبو داود (2516) وابن حبان (4637)، وغيرهم، بإسناد حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رجلاً قال: يا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الجِهَادَ في سَبِيلِ اللهِ وهو يَبْتَغِي مِنْ عَرَضِ الدنيا قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لا أَجْرَ لهُ»** فَأَعْظَمَ ذلك الناسُ، وقالوا للرجل: عُدْ لِرسُولِ اللهِ، فَلَعَلَّكَ لَمْ تَفْهَمْهُ.

قالَ: فقالَ الرجلُ: يا رَسُولَ الله: رجلٌ يُرِيدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ وهُوَ يبتغي مِنْ عَرَضِ الدُّنيا؟ قالَ: **«لا أَجْرَ لَهُ»** فأعظمَ ذلكَ الناسُ.

وقالوا للرجلِ: عُدْ لرسولِ اللهِ، فقالَ لَهُ الثالثةَ: رَجُلٌ يريدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ وهوَ يبتغي مِنْ عَرَضِ الدُّنيا؟ قال: **«لا أجرَ لَهُ»** لفظ ابن حبان.

محبة الله تعالى لمن خرق صفوف الأعداء ليفتح لإخوانه المجاهدين طريقاً يسلكون فيه

- روى الإمام أحمد (21413) وابن حبان (4771)، وغيرهما بإسناد حسن، من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثةٌ يُحبهم اللهُ: رجلٌ أتى قوماً فَسَأَلهمْ باللهِ ولَمْ يسألْهمْ بقرابةٍ بينهمْ وبينهُ، فتخلف رجلٌ بأعقابهم، فأعطاهُ سِرّاً لا يَعْلَمُ بعطيتِه إلا اللهُ والذي أعطاهُ، وقَوْمٌ سارُوا ليلَهمْ حتى إذا كانَ النومُ أحبَّ إليهمْ، نزلوا، فوضَعُوا رؤوسَهمْ، فقامَ يتملَّقُني ويتلو آياتي، ورجلٌ كانَ في سَريَّةٍ، فلَقُوا العَدُوَّ، فهُزِمُوا وأقبلَ بصَدْرِه حتى يُقْتَلَ أو يُفْتَحَ لهمْ»** لفظ ابن حبان.

ومعنى قوله عزَّ وجَلَّ: «يتملقني» أي: يتودد إليّ، من الملَق، وهو الوُدّ واللطف الشديد.

- **قال ابن دقيق العيد** رحمه الله قوله: ﷺ: «سُئِلَ رسول الله ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً: أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **مَنْ قَاتَلَ لتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**».

في الحديث دليل على وجوب الإخلاص في الجهاد. وتصريح بأن القتال للشجاعة. والحمية والرياء: خارج عن ذلك.

فأما «الرياء» فهو ضد الإخلاص بذاته لاستحالة اجتماعهما. أعني أن يكون القتال لأجل الله تعالى، ويكون بعينه لأجل الناس.

وأما «القتال للشجاعة» فيحتمل وجوهاً. **أحدها**: أن يكون التعليل داخلاً في قصد المقاتل، أي قاتل لأجل إظهار الشجاعة. فيكون فيه حذف مضاف. وهذا لا شك في منافاته للإخلاص.

وثانيها: أن يكون ذلك تعليلاً لقتاله من غير دخول له في القصد بالقتال. كما يقال: أعطى لكرمه، ومنع لبخله، وآذى لسوء خلقه.

وهذا بمجرده من حيث هو هو: لا يجوز أن يكون مراداً بالسؤال، ولا الذم. فإن الشجاع المجاهد في سبيل الله إنما فعل ما فعل: لأنه شجاع، غير أنه ليس يقصد به إظهار الشجاعة، ولا دخَل قصدُ إظهار الشجاعة في التعليل.

وثالثها: أن يكون المراد بقولنا: «قاتل للشجاعة» أنه يقاتل لكونه شجاعاً فقط. وهذا غير المعنى الذي قبله. لأن الأحوال ثلاثة: حال يقصد بها إعلاء كلمة الله تعالى، ولا إظهار الشجاعة عنه.

وهذا يمكن. فإن الشجاع الذي تدهَمُه الحرب، وكانت طبيعته المسارعة إلى القتال ـ يبدأ بالقتال لطبيعته، وقد لا يستحضر أحد الأمرين، أعني أنه لغير الله تعالى، أو لإعلاء كلمة الله تعالى.

ويوضح الفرق بينهما أيضاً أن المعنى الثاني لا ينافيه وجود قصد؛ فإنه يقال: قاتل لإعلاء كلمة الله تعالى لأنه شجاع. وقاتل للرياء: لأنه شجاع. فإن الجبن منافٍ للقتال، مع كل قصد يفرض.

وأما المعنى الثالث: فإنه ينافيه القصد. لأنه أخذ فيه القتال للشجاعة بقيد التجرد عن غيرها. ومفهوم الحديث يقتضي أنه في سبيل الله تعالى إذا قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. وليس في سبيل الله إذا لم يقاتل لذلك.

فعلى الوجه الأول: تكون فائدته بيان أن القتال لهذه الأغراض مانع. وعلى الوجه الآخر تكون فائدته: أن القتال لأجل إعلاء كلمة الله تعالى شرط. وقد بيَّنا الفرق بين المعنيين.

وقد ذكرنا أن مفهوم الحديث الاشتراط، لكن إذا قلنا بذلك، فلا ينبغي أن نضيف فيه، بحيث تشترط مقارنته لساعة شروعه في القتال، بل يكون الأمر أوسع من هذا. ويكتفى بالقصد العام لتوجُّهه إلى القتال، وقصده بالخروج إليه لإعلاء كلمة الله تعالى. ويشهد لهذا: الحديثُ الصحيح في أنه «**يكتب للمجاهد استنان فرسه وشربها في النهر**»[1] من غير قصد لذلك، لما كان القصد الأول إلى الجهاد واقعاً، لم يشترط أن يكون ذلك في الجزئيات. ولا يبعد يكون بينهما فرق.

إلا أن الأقرب عندنا ما ذكرناه من أنه لا يشترط اقتران القصد بأول الفعل المخصوص، بعد أن يكون القصد صحيحاً في الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى دفعاً للحرج والمشقة، فإن حالة الفزع حالة دَهَش، وقد تأتي على غفلة، فالتزام حضور الخواطر في ذلك الوقت حرج ومشقة.

ثم إن الحديث يدلّ على أن المجاهد في سبيل الله: مؤمن، قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. والمجاهد لطلب ثواب الله تعالى والنعيم المقيم: مجاهد في سبيل الله ويشهد له: فعل الصحابي، وقد سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قوموا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض**» فألقى الثمرات التي كُنَّ في يده، وقاتل حتى قتل[2]. وظاهر هذا: أنه قاتل

---

(1) الحديث بلفظه وبتمامه أخرجه البخاري وغيره في الجهاد (2853) باب (45) من احتبس فرساً في سبيل الله تعالى. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل اللَّه، إيماناً باللَّه وتصديقاً بوعده، فإن شِبَعَهُ وريَّهُ وروثَهُ، وبولَه في ميزانه يوم القيامة».

(2) جزء من حديث طويل رواه مسلم في الإمارة (1901) باب (4) ثبوت الجنة للشهيد. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
والصحابي المذكور هو عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه.
الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (١٢٤٠١) ومسلم (١٩٠١) وأبو داود (٢٦١٨)، وغيرهم، واللفظ لمسلم من طريق ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: بعثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ، عَيْناً يَنْظُرُ ما صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ. فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسولِ اللهِ ﷺ (قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَىٰ بَعْضَ نِسَائِهِ) قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ. قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ. فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً. فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا». =

لثواب الجنة. والشريعة كلها طافحة بأن الأعمال لأجل الجنة أعمال صحيحة، غير معلولة؛ لأن الله تعالى ذكر صفة الجنة وما أعد فيها للعاملين ترغيباً للناس في العمل. ومحال أن يرغبهم للعمل للثواب، ويكون ذلك معلولاً مدخولاً. اللَّهُمَّ إلا أن يُدَّعَى أن هذا المقام أعلى منه. فهذا قد يُتسامح فيه. وأما أن يكون علة في العمل فلا.

فإذا ثبت هذا وأن المقاتل لثواب الله وللجنة مقاتل في سبيل الله تعالى؛ فالواجب أن يقال أحد الأمرين: إما أن يضاف إلى هذا المقصود ـ أعني القتال لإعلاء كلمة الله تعالى ـ ما هو مثله، أو ما يلازمه، كالقتال لثواب الله تعالى.

وإما أن يقال: إن المقصود بالكلام وسياقه: بيان أن هذه المقاصد منافية للقتال في سبيل الله. فإن السؤال إنما وقع عن القتال لهذه المقاصد، وطلب بيان أنها في سبيل الله أمْ لا؟ فخرج الجواب عن قصد السؤال، بعد بيان منافاة هذه المقاصد للجهاد في سبيل الله: هو بيان أن هذا القتال لإعلاء كلمة الله تعالى: هو قتال في سبيل الله، لا على أن «سبيل الله» للحصر، وأن لا يكون غيره في سبيل الله مما لا ينافي الإخلاص، كالقتال لطلب الثواب. والله أعلم.

وأما القتال حمية؛ فالحمية من فعل القلوب. فلا يقتضي ذلك إلا أن يكون مقصود الفاعل: إما مطلقاً. وإما في مراد الحديث ودلالة السياق. وحينئذٍ يكون قادحاً في القتال في سبيل الله تعالى، إما لانصرافه إلى هذا الفرض وخروجه عن القتال لإعلاء

= فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ. فَقَالَ: «لَا. إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً» فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ. حَتَّىٰ سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ. وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ.

فَقَالَ: رَسُول اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ»: قَالَ: لَا. وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ.

ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هٰذِهِ، إِنَّها لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ.

كلمة الله، وإما لمشاركته المشاركة القادحة في الإخلاص. ومعلوم أن المراد بالحمية: الحمية لغير دين الله. وبهذا يظهر لك ضعف الظاهرية في مواضع كثيرة. ويتبين أن الكلام يستدلّ على المراد منه بقرائنه وسياقه، ودلالة الدليل الخارج على المراد منه وغير ذلك.

فإن قلتَ: فإذا حملت قوله: «قاتل للشجاعة» أي لإظهار الشجاعة، فما الفائدة بعد ذلك في قولهم: «يقاتل رياءً»؟

قلتُ يحتمل أن يراد بالرياء: إظهار للرغبة في ثواب الله تعالى، والمسارعة للقربات، وبذل النفس في مرضاة الله تعالى. والمقاتل لإظهار الشجاعة مقاتل لغرض دنيوي، وهو تحصيل المحمَدة والثناء من الناس عليه بالشجاعة. والمقصدان مختلفان. أَلَا ترى أن العرب في جاهليتها كانت تقاتل للحمية، وإظهار الشجاعة، ولم يكن لها قصد في المراءاة بإظهار في ثواب الله تعالى والدار الآخرة؟ فافترق القصدان.

وكذلك أيضاً القتال للحمية مخالف للقتال شجاعة والقتال للرياء؛ لأن الأول يقاتل لطلب المحمدة بخُلق الشجاعة وصفتها، وأنها قائمة بالمقاتل وسَجِيَّة له. والقتال للحمية قد لا يكون كذلك. وقد يقاتل الجبان حمية لقومه، أو لحريمه ـ مكره أخاك لا بطل ـ والله أعلم. «شرح عمدة الأحكام» (ص ـ ٦٣٦ ـ ٢٦٩).

في عاقبة من قاتل للرياء والسمعة!

- روى الإمام أحمد (8284) ومسلم (1905) والنسائي (3137)، وغيرهم واللفظ لمسلم، من طريق سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ. قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: نَعَمْ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ.

فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَه فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قوله** ﷺ: في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 5] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً. قوله: «تفرق الناس عن أبي هرَيرة» أي تفرقوا بعد اجتماعهم. «شرح صحيح مسلم» (٦ ـ ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

مآل صدق المجاهد في سبيل الله تعالى، وصدق الله تعالى معه

ـ روى البخاري (3045)، من طريق الزُّهريِّ قال: أخبرَني عمرُو بنُ أبي سفيانَ بنِ أسيدِ بنِ جاريةَ الثَّقفيُّ وهوَ حَليفٌ لبني زُهرةَ، وكان من أصحاب أبي هريرة ـ أَنَّ أَبا هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَعثَ رسولُ الله ﷺ عَشرةَ رَهطٍ سَريةً عَيناً، وأَمَّرَ عليهم عاصمَ بنَ ثابتٍ الأَنصاريَّ ـ جَدَّ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطاب ـ فانطَلَقوا، حتّى إذا كانوا بالهَدَأَةِ ـ وهوَ بينَ عُسْفانَ ومكةَ ـ ذُكِروا لِحيٍّ من هُذيل يقال لهم بنو لِحْيانَ، فنَفَروا لهم قريباً من مائتي رجلٍ كلُّهم رام، فاقتَصُّوا آثارَهم حتّى وجَدوا مَأْكَلهم تَمراً تَزَوَّدوهُ من المدينة، فقالوا: هٰذا تمرُ يَثرِبَ، فاقتَصُّوا آثارَهم، فلما رآهم عاصمٌ وأَصحابهُ لجؤوا إلى فَدْفَدٍ. وأَحاطَ بهمُ القومُ، فقالوا لهم: إنزلوا وأَعطُونا بأَيديكم، ولكُم العَهدُ والميثاقُ ولا نقتلُ منكم أَحَداً. قال عاصمُ بن ثابتٍ أَميرُ السَّريةِ: أَمّا أَنا فوالله لا أَنزِلُ اليومَ في ذمةِ كافر، اللّهمَّ أَخبرْ عنّا نبيَّك، فرمَوهم بالنَّبْل، فقتلوا عاصماً في سبعةٍ.

فنزَلَ إِليهم ثلاثةُ رهطٍ بالعهدِ والميثاق منهم خُبيبٌ الأَنصاريُّ وابنُ دَثِنَةَ ورجلٌ آخر، فلما استمكنوا منهم أَطلَقوا أَوتارَ قِسِيِّهم فأَوثقوهم، فقال الرجلُ الثالثُ: هٰذا أَوَّلُ الغدرِ، والله لا أَصحبُكم، إِنَّ لي في هؤُلاء لأُسوةً ـ يُريدُ القَتلىٰ ـ وجَرَّروهُ وعالجوهُ علىٰ أَن يَصحَبَهم فأَبىٰ، فقتلوهُ.

فانطَلقوا بخُبَيبٍ وابن دَثِنَةَ حتّى باعوهما بمكةَ بعدَ وَقيعةِ بدرٍ، فابتاعَ خُبَيباً بنو الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نوفلِ بنِ عبدِ مَنافٍ، وكان خُبيبٌ هو قَتلَ الحارثَ بنَ عامرٍ يومَ بَدرٍ، فلَبثَ خُبيبٌ عندَهم أَسِيراً.

فأَخبرَني عُبيدُ الله بنُ عِياضٍ أَنَّ بنتَ الحارثِ أَخبرَتهُ أَنهم حينَ اجتمعوا استَعارَ منها مُوسىٰ يَستحِدُّ بها فَأعارَتْهُ، فأَخذَ ابناً لي وأَنا غافلةٌ حين أَتاهُ، قالت: فوجَدْتهُ مُجْلِسَهُ على فخذه والموسىٰ بيدهِ، ففزِعتُ فزْعةً عرَفَها خُبَيبٌ في وَجهي، فقال: تَخشينَ أَن أَقتُلَهُ؟ ما كنتُ لأَفعَلُ ذلك. والله ما رأَيتُ أَسيراً قطُّ خيراً من خُبَيب، والله لقد وَجدْتهُ يوماً يأْكل من قِطْفِ عِنَبٍ في يدِهِ وإِنه لموثَقٌ في الحديدِ وما بمكةَ مِن ثَمرٍ. وكانت تقولُ إِنه لرِزْقٌ مِنَ الله رَزَقهُ خُبَيباً.

فلما خَرَجوا مَنَ الحَرَم ليَقتُلوهُ في الحِلِّ قال لهم خُبَيبٌ: ذُروني أَركَعْ رَكعَتَين. ثمَّ قال: لولا أَن تَظُنُّوا أَن ما بي جَزَعٌ لَطَوَّلتُها، اللّهمَّ أَحصِهِمْ عَدَداً.

ولستُ ما أُبالي حينَ أُقتَل مُسلماً ... علىٰ أَيِّ شِقّ كان للّه مَصْرَعي
وذلك في ذاتِ الإِلهِ، وإِن يَشأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْو مُمزَّع

فقَتَلَهُ ابن الحارث، فكانَ خُبَيبٌ هوَ سَنَّ الرَّكعَتَين لكلِّ امرىء مُسلم قُتِلَ صَبراً. فاستجابَ الله لعاصم بن ثابتٍ يومَ أُصِيبَ، فأَخبرَ النبيُّ ﷺ أَصحابَهُ خبرَهم وما أُصِيبوا، وبَعثَ ناسٌ من كفارِ قُرَيشٍ إِلى عاصم حينَ حُدِّثوا أَنه قتِلَ ليُؤْتَوا بشيءٍ منهُ يُعرَف، وكان قد قَتَلَ رجُلاً من عُظمائهم يومَ بَدْرٍ[1]، فبُعِثَ على عاصم مثلُ الظُّلةِ منَ الدَّبْرِ، فحمَتْهُ مِن رسولهم، فلم يقدِروا على أَن يقْطَعوا مِن لحمهِ شيئاً».

(1) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (8 ـ 138): لعل العظيم المذكور عقبة بن أبي معيط، فإن عاصماً قتله صبراً بأمر النبي ﷺ بعد أن انصرفوا من بدر. ووقع عند ابن إسحاق، وكذا في رواية بريدة بن سفيان أن عاصماً لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري، وكان عاصماً قتلهما يوم أُحُد، وكانت نذرت لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه، فمنعته الدبر، فإن كان محفوظاً احتمل أن تكون قريش لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الدبر لها من أخذ رأس عاصم، فأرسلت من يأخذه، أو عرفوا بذلك ورجوا أن تكون الدبر تركته فيتمكنوا من أخذه.
قال: وقوله: (فلم يقدروا منه على شيء) في رواية شعبة «فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئاً» وفي رواية أبي الأسود عن عروة «فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم =

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (8 ـ 138): وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر، وإذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة له أن يستأمن، قال الحسن البصري: لا بأس بذلك. وقال سفيان الثوري: أكره ذلك، وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل، وفيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه، وفيه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: 112] وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل. وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه. وفيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم.

واهاً لريح الجنة!:

- وروى الإمام أحمد (13014) ومسلم (1903) وابن حبان (4772) واللفظ له من حديث أنس رضي الله عنه؛ قال: عَمِّيَ الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْراً. قَالَ: فَشَقَّ عَلَيْهِ. قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ. وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَداً، فِيمَا بَعدُ، مَعَ رَسُوله اللهِ ﷺ، لَيَرَانِيَ اللهُ مَا أَصْنَع. قَالَ فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا. قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ.

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ. فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهاً لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ. قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ.

قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ، عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ. وَنَزَلَتْ هٰذِهِ

= وتلدغهم، فحالت بينهم وبين أن يقطعوا» وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً، فكان عمر يقول لما بلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته انتهى.

الآيَةُ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]. قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ.

قوله: «فهاب أن يقول غيرها» معناه أنه اقتصر على هذه اللفظة المبهمة أي قوله: ليرين الله ما أصنع مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز عنه أو تضعف بنيته عنه أو نحو ذلك وليكون أبراء له من الحول والقوة.

قوله: «واهاً لريح الجنة أجده دون أحد» قال العلماء: واهاً كلمة تحنن وتلهف. **قاله النووي رحمه الله.**

وقفة عزٍ وطاعة مُشرفة لعبد الله بن أُنيس رضي الله عنه

- روى الإمام أحمد (16047) وأبو يعلى (905) وابن حبان (7160)، وغيرهم، بإسناد حسن، واللفظ لأحمد من طريق ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعاني رسولُ الله ﷺ فقال: «**إِنَّه قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بنَ سُفْيانَ بْنِ نُبَيحٍ الهُذَلي. يَجْمَعُ لِيَ النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي وَهوَ بِعُرَنة**[1]**، فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ**» قال: قلتُ: يا رسول الله، انعتْهُ لي حتى أعرفه.

قال: «**إذا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ إِقْشَعْرِيرَةً**»، قال: فخرجتُ مُتَوَشِّحاً بسيفي حتى وقعتُ عليه، وهو بعُرَنَة مع ظُعُنٍ يرتاد لهن منزلاً، وحين كان وقتُ العصر، فلما رأيتُه وجدتُ ما وَصَفَ لي رسولُ الله ﷺ من الإقشعريرة، فأقبلتُ نحوه، وخشيتُ أن يكونَ بيني وبينه محاولةٌ تشغلُني عن الصلاة.

فصليتُ وأنا أمشي نحوه أُومىء برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيتُ إليه، قال: من الرجل؟ قلتُ: رجلٌ من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لهذا.

قال: أجل أنا في ذلك. قال: فمشيتُ معه شيئاً، حتى إذا أمكَنَني حَمَلْتُ عليه السيف حتى قتلتُه، ثم خرجتُ، وتركت ظعائنَه مُكِبّاتٍ عليه[2].

فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ فرآني فقال: «**أَفْلَحَ الوَجْهُ**» قال: قلتُ: قتلتُه يا

---

(1) عرنة: موضع بعرفة.

(2) يريد أنه تركه نساءه يبكين عليه.

رسولَ الله. قال: «صَدَقْتَ» قال: ثم قام معي رسولُ الله ﷺ، فدخل بي بيته، فأعطاني عصاً، فقال: «أَمْسِكْ هٰذِهِ عِنْدَكَ، يا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ».

قال: فخرجتُ بها على الناس، فقالوا: ما هٰذه العصا؟ قال قلتُ: أعطانيها رسولُ الله ﷺ، وأمرني أن أُمسكها، قالوا: أوَ لا ترجعُ إلى رسول الله ﷺ فتسألَهُ عن ذلك؟ قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، لم أعطَيْتَني هذه العصا؟

قال: «آيَةٌ بَيْنِي وبَيْنَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ المُتَخَصِّرُونَ يومئذٍ» قال: فقَرَنها عبدُ الله بسيفه، فلم تزلَ معه حتى إذا ماتَ أمر بها فُصبَّت معه في كفنه، ثم دُفنا جميعاً.

كلمة هادفة.. وتوجيه بنَّاءٌ للشخصية الجهادية في الإسلام، مع قول الله العظيم المتعال

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: 153-157] بعد تقرير القبلة، وإفراد الأمة المسلمة بشخصيتها المميزة، التي تتفق مع حقيقة تصورها المميزة كذلك.. كان أول توجيه لهذه ذات الشخصية الخاصة والكيان الخاص، هذه الأمة الوسط الشهيدة على الناس.. كان أول توجيه لهذه الأمة هو الاستعانة بالصبر والصلاة على تكليف هذا الدور العظيم. والاستعداد لبذل التضحيات التي يتطلبها هذا الدور من استشهاد الشهداء، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، والخوف والجوع، ومكابدة أهوال الجهاد لإقرار منهج الله في الأنفس، وإقراره في الأرض بين الناس. وربط قلوب هذه الأمة بالله، تجردها له، ورد الأمور كلها إليه.. كل أولئك في مقابل رضى الله ورحمته وهدايته، وهي وحدها جزاء ضخم للقلب المؤمن، الذي يدرك قيمة هذا الجزاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً؛ ذلك أن الله سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع؛ والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات؛ والذي يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب، مجندة القوى، يقظة للمداخل والمخارج.. ولا بدّ من الصبر في هذا كله.. لا بد من الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على جهاد المشاقين للّه، والصبر على الكيد بشتى صنوفه، والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقلة العناد، ومضاضة الإعراض.

وحين يطول الأمد، ويشق الجهد، قد يضعف الصبر، أو ينفد، إذا لم يكن هناك زاد ومدد. ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر؛ فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد. المعين الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب؛ فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع. ثم يضيف إلى الصبر، الرضى والبشاشة، والطمأنينة، والثقة، واليقين.

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالقوة الكبرى، يستمد منها العون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة. حينما تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة. حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد وهي عنيفة. حينما يطول به الطريق وتبعد به الشقة في عمره المحدود، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئاً وقد أوشك المغيب، لم ينل شيئاً وشمس العمر تميل للغروب. حينما يجد الشر نافشاً والخير ضاوياً، ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق.

هنا تبدو قيمة الصلاة.. إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني والقوة الباقية. إنها الموعد المختار لالتقاء القطرة المنعزلة بالنبع الذي لا يغيض. إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض. إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير. إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود.. ومن هنا كان رسول الله ﷺ إذا كان في الشدة قال: «**أرحنا بها يا بلال**».. ويكثر من الصلاة إذا حزبه أمر ليكثر من اللقاء بالله.

إن هذا المنهج الإسلامي منهج عبادة. والعبادة فيه ذات أسرار. ومن أسرارها أنها زاد الطريق. وأنها مدد الروح. وأنها جلاء القلب. وأنه حيثما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف في حلاوة وبشاشة ويسر. . إن الله سبحانه حينما انتدب محمداً ﷺ للدور الكبير الشاق الثقيل، قال له:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: 1 ـ 5]. . فكان الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن. . إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان.

ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام. . إلى الصبر وإلى الصلاة. .

ثم يجيء التعقيب بعد هذا التوجيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

معهم، يؤيدهم، ويثبتهم، ويقويهم، ويؤنسهم، ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم، ولا يتركهم لطاقتهم المحدودة، وقوتهم الضعيفة، إنما يمدهم حين ينفد زادهم، ويجدد عزيمتهم حين تطول بهم الطريق. . وهو يناديهم في أول الآية ذلك النداء الحبيب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. . ويختم النداء بذلك التشجيع العجيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والأحاديث في الصبر كثيرة نذكر بعضها لمناسبته للسياق القرآني هنا في إعداد الجماعة المسلمة لحمل عبئها والقيام بدورها:

عن خباب بن الأرتّ رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة. فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه. . والله ليتمّن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**» [رواه البخاري].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء عليهم السلام، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، وهو يقول: **اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» [متفق عليه].

وعن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**» [رواه الترمذي وحسنه].

والآن والجماعة المسلمة في المدينة مقبلة على جهاد شاق لإقرار منهج الله في الأرض، ولأداء دورها المقسوم لها في قدر الله، ولتسلم الراية والسير بها في الطريق الشاق الطويل.. الآن يأخذ القرآن في تعبئتها تعبئة روحية، وفي تقويم تصورها لما يجري في أثناء هذا الجهاد من جذب ودفع، ومن تضحيات وآلام، وفي إعطائها الموازين الصحيحة التي تقدر بها القيم في هذه المعركة الطويلة تقديراً صحيحاً:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق. شهداء في سبيل الله. قتلى أعزاء أحباء. قتلى كراماً أزكياء ـ فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق، هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس ـ هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتاً. إنهم أحياء. فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتاً في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان. إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه. فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياء الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.. وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد. فهم ما يزالون عنصراً فعالاً دافعاً مؤثراً في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى. فهم أحياء أولاً بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس.

ثم هم أحياء عند ربهم ـ إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه. حسبنا إخبار الله تعالى به: «أحياء ولكن لا تشعرون».. لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود. ولكنهم أحياء.

أحياء. ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها. فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة. وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر لأنهم بعد أحياء.

أحياء. فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء. أحياء يشاركون في حياة الأهل والأحباء والأصدقاء. أحياء فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاظمها الأمر، ولا يهولنها عظم الفداء.

ثم هم بعد كونهم أحياء مكرمون عند الله مأجورون أكرم الأجر وأوفاه:

في صحيح مسلم: «**إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، فاطلع عليهم ربك اطلاعة، فقال: «ماذا تبغون؟ فقالوا: يا ربنا. وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا. فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا: نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة أخرى ـ لما يرون من ثواب الشهادة ـ فيقول الرب ﷻ: إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء. إلا الشهيد، ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**». (أخرجه مالك والشيخان).

ولكن من هم هؤلاء الشهداء الأحياء؟ إنهم أولئك الذين يقتلون «في سبيل الله».. في سبيل الله وحده، دون شركة في شارة ولا هدف ولا غاية إلا الله. في سبيل هذا الحق الذي أنزله. في سبيل هذا المنهج الذي شرعه. في سبيل هذا الدين الذي اختاره.. في هذا السبيل وحده، لا في أي سبيل آخر، ولا تحت أي شعار آخر، ولا شركة مع هدف أو شعار. وفي هذا شدد القرآن وشدد الحديث، حتى ما تبقى في النفس شبهة أو خاطر.. غير الله.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء. أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**».. (أخرجه مالك والشيخان).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من الدنيا؟ فقال: «**لا أجر له**». فأعاد عليه ثلاثاً. كل كذلك يقول: «**لا أجر له**». (أخرجه أبو داود).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تضمن الله تعالى لمن خرج في سبيل الله. لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي.. فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ﷻ أبداً. ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**» (أخرجه مالك والشيخان).

فهؤلاء هم الشهداء. هؤلاء الذين يخرجون في سبيل الله، لا يخرجهم إلا جهاد في سبيله، وإيمان به، وتصديق برسله.

ولقد كره رسول الله ﷺ لفتى فارسي يجاهد أن يذكر فارسيته ويعتز بجنسيته في مجال الجهاد:

عن عبد الرحمٰن بن أبي عقبة عن أبيه (وكان مولى من أهل فارس) قال: (شهدت مع النبي ﷺ أحداً. فضربت رجلاً من المشركين، فقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي. فالتفت إليّ النبي ﷺ فقال: «**هلا قلت: وأنا الغلام الأنصاري؟ إن ابن أخت القوم منهم، وإن مولى القوم منهم**») (أخرجه أبو داود).

فقد كره له ﷺ أن يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي ﷺ، وأن يحارب تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين.. وهذا هو الجهاد. وفيه وحده تكون الشهادة، وتكون الحياة للشهداء.

ثم يمضي السياق في التعبئة لمواجهة الأحداث، وفي تقويم التصور لحقيقة الأحداث:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: 155-156].

ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات.. لا بد من هذا البلاء ليؤدي

المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف. والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى. فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين. وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها.. كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها. كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها.. إنهم عندئذٍ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيراً مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه.. وعندئذٍ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها.. وعندئذٍ يجيء نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجاً..

ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى. فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة؛ وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون، والران عن القلوب.

وأهم من هذا كله، أو القاعدة لهذا كله.. الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده. لا يجد سنداً إلا سنده. وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مد البصر.. لا شيء إلا الله.. لا قوة إلا قوته.. لا حول إلا حوله.. لا إرادة إلا إرادته.. لا ملجأ إلا إليه.. وعندئذٍ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح.

والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الأفق:

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: 155-156].

إنا لله.. كلنا.. كل ما فينا.. كل كياننا وذاتيتنا.. للّه.. إليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير.. التسليم.. التسليم المطلق.. تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجهاً لوجه بالحقيقة الوحيدة، وبالتصور الصحيح.

هؤلاء هم الصابرون.. الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل..

وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157].

صلوات من ربهم.. يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه.. وهو مقام كريم.. ورحمة.. وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون.

وكل أمر من هذه هائل عظيم..

وبعد.. فلا بد من وقفة أمام هذه الخاتمة في تلك التعبئة للصف الإسلامي. التعبئة في مواجهة المشقة والجهد، والاستشهاد والقتل، والجوع والخوف، ونقص الأموال والأنفس والثمرات. التعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التكاليف.

إن الله يضع هذا كله في كفة. ويضع في الكفة الأخرى أمراً واحداً.. ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.. إنه لا يعدهم هنا نصراً، لا يعدهم هنا تمكيناً، ولا يعدهم هنا مغانم، لا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات الله ورحمته وشهادته.. لقد كان الله يعد هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها وأكبر من حياتها. فكان من ثم يجردها من كل غاية، ومن كل هدف ومن كل رغبة من الرغبات البشرية ـ حتى الرغبة في انتصار العقيدة ـ كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته.. كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضى الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون.. هذا هو الهدف، وهذه هي الغاية، وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها.. فأما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها.

إن لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء. جزاء على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات. وجزاء على الخوف والجوع والشدة. وجزاء على القتل والشهادة.. إن الكفة ترجح بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء. أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور..

هذه هي التربية التي أخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الإعداد العجيب، وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين[1].

(1) «في ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب (1 ـ 141 ـ 146).

فضل الشهادة.. وأن جنَّة المجاهد تحت ظلّ سيفه

قال الله العزيز الجبار: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: 142].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: 16].

- وروى الإمام أحمد (19136) والبخاري (2818) ومسلم (1742)، واللفظ للبخاري من طريق موسىٰ بن عُقبةَ عن سالمِ أبي النَّضرِ مولىٰ عمرَ بنِ عُبَيدِ الله ـ وكان كاتباً ـ قال: كتبَ إليهِ عبد الله بنُ أبي أوفىٰ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**واعلموا أَنَّ الجنَّة تحتَ ظِلالِ السيوف**».

- وروى الإمام أحمد (19555) ومسلم (1902) والترمذي (1659) وغيرهم واللفظ لمسلم من طريق أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**». فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ. فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَىٰ، أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ هٰذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ. ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ. ثُمَّ مَشَىٰ بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَضَرَبَ بِهِ حَتَّىٰ قُتِلَ.

قوله: «كسر جفن سيفه» هو بفتح الجيم وإسكان الفاء وبالنون وهو غمده.

وقوله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**» قال العلماء: معناه إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وهو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ضروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ، فإنه أفاد الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تظل المتقاتلين، وقال ابن الجوزي، المراد أن الجنة تحصل بالجهاد. والظلال جمع ظل وإذا تدانى الخصمان صار كل منهما تحت ظل صاحبه لحرصه على رفعه عليه ولا يكون ذلك إلا عند التحام القتال «**فتح الباري**» (٦/ ١١٥).

- وروى الإمام أحمد (19129) والبخاري (2933) ومسلم (1742)، وغيرهم من حديث عبد الله بن أبي أَوْفَى ﷺ : أن رسول الله ﷺ - في بعض أَيَّامِهِ التي لَقِيَ فيها الْعَدُوَّ - «انْتَظَرَ، حتى إذا مالَت الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ، فقالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ. واسْأَلُوا اللهُ الْعَافِيَةَ. فإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ.**

ثمَّ قالَ النبي ﷺ: **اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ: اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**».

قال ابن دقيق العيد رحمه الله : فيه دليل على استحباب القتال بعد زوال الشمس. وقد ورد فيه حديث أصرح من هذا[1]، أو أثَرٌ عن بعض الصحابة. ولمّا كان لقاء الموت من أشقِّ الأشياء وأصعبها على النفوس من وجوه كثيرة، وكانت الأمور المقدرة عند النفس ليست كالأمور المحققة لها؛ خُشي أن لا تكون عند التحقيق كما ينبغي. فكُرِه تمني لقاء العدو لذلك، ولما فيه - إن وقع - من احتمال المخالفة لما وعدَ الإنسانُ من نفسه. ثم أمر الصبر عند وقوع الحقيقة. وقد ورد النهي عن تمنِّي الموت مطلقاً لضُرٍّ نزل[2]. وفي حديث: «**لا تَتَمَنَّوا الموت؛ فإِنَّ هَوْلَ المُطَّلعِ شديدٌ**»[3] وفي الجهاد زيادة على مطلق الموت.

---

(1) ذكره الحافظ في «الفتح» (6/ 120) عند سعيد بن منصور - من وجه آخر - عن ابن أبي أوفى ﷺ : كان رسول الله ﷺ يمهل إذا زالت الشمس ثم ينهض إلى عدوه» وروى البخاري في الجزية والموادعة (3160) من حديث النعمان بن مقرن ﷺ قال: شهدت القتال مع رسول الله ﷺ، كان إذا لم يقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح، وتحضر الصلوات». قال الحافظ ابن حجر: فيظهر أن فائدة التأخير لكون أوقات الصلاة مظنة إجابة الدعاء، وهبوب الريح قد وقع النصر به في الأحزاب. فصار مظنة لذلك، والله أعلم.

(2) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (11979/ 4) والبخاري في الدعوات (6351) ومسلم في الذكر (2680) والترمذي في الجنائز (2971) والنسائي في الجنائز (4/ 3) وفي «عمل اليوم والليلة» (1057) وأبو داود في الجنائز (3108) وابن حبان (968) وغيرهم من حديث أنس ابن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنَّين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بد فاعلاً، فليقل: أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» لفظ ابن حبان.

(3) الحديث بتمامه ذكره المنذري في «الترغيب» (4/ 257) من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد، ويرزقه الله الإنابة». وعزاه لأحمد والبيهقي وقال: إسناده حسن. ومعنى قوله ﷺ: «فإن هول المطلع شديد» أي يوم القيامة. والله تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: «**واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**» من باب المبالغة والمجاز الحسن. فإنَّ ظلَّ الشيء لما كان ملازماً له، جعل ثواب الجنة واستحقاقها عن الجهاد وإعمال السيوف لازماً لذلك، كما يلزم الظل.

وهذا الدعاء: لعله أشار إلى ثلاثة أسباب، تُطلب بها الإجابة. **أحدها**: طلب النصر بالكتاب المنزل. وعليه يدل قوله ﷺ «**منزل الكتاب**» كأنه قال: كما أنزلته، فانصره وأعْلِه. وأشار إلى القدرة بقوله: «**ومجري السحاب**» وأشار إلى أمرين **أحدهما**: بقوله: «**وهازم الأحزاب**» إلى التفرُّد بالفعل، وتجريد التوكل، واطراح الأسباب، واعتقاد أن الله وحده هو الفاعل. **والثاني**: التوسل بالنعمة السابقة إلى النعمة اللاحقة. وقد ضمَّن الشعراء هذا المعنى أشعارهم، بعدما أشار إليه كتاب الله تعالى، حكاية عن زكريا ﷺ في قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4] وعن إبراهيم ﷺ في قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: 47] وقال الشاعر:

كما أَحْسَنَ اللهُ فيما مَضى كذلك يُحْسِن فيما بَقِي

وقال الآخر:

لا والَّذي قَدْ مَنَّ بالإِ سْلام يُثْلِجُ في فُؤادي
ما كانَ يَخْتِمُ بالإِساء ة وَهوَ بالإِحْسانِ بادي(1)

قصة الفوز بالجنة:

– روى الإمام أحمد (19555) ومسلم (1902) وغيرها واللفظ لمسلم، من طريق ثابت، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ. يُقَالُ لَهُم الْقُرَّاءُ. فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ. يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ. وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ. وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ. وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ. وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلْفُقَرَاءِ(2). فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ. قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ. فَقَالُوا:

(1) «شرح إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد (ص/ 618 ـ 619) بتحقيقنا.

(2) قوله: (ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة) أصحاب الصفة هم الفقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي ﷺ وكانت لهم في آخره صفة وهو مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه، قاله إبراهيم الحربي والقاضي: وأصله من صفة البيت =

اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا؛ أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ. وَرَضِيتَ عَنَّا. قَالَ: وَأَتَىٰ رَجُلٌ حَرَاماً، خَالَ أَنَسٍ، مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّىٰ أَنْفَذَهُ. فقالَ حَرَامٌ: فُزْتُ، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا**[1]. **وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا؛ أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ. وَرَضِيتَ عَنَّا**».

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله: «اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا» فيه فضيلة ظاهرة للشهداء وثبوت الرضا منهم ولهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: 119] قال العلماء أي رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه من الخيرات والرضى من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة فيكون من صفات الأفعال وهو أيضاً بمعنى إرادته فيكون من صفات الذات. «شرح صحيح مسلم» (٦ ـ ٥٢٩).

من جاهد بنية صادقة ليكون من أهل الجنة:

- روى الإمام أحمد (12401) ومسلم (1901) وأبو داود (2618)، وغيرهم، من طريق ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ، عَيْناً يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ. فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ (قَالَ: لَا أَدْرِي مَا

= وهي شيء كالظلة قدامه فيه فضيلة الصدقة وفضيلة الاكتساب من الحلال لها، وفيه جواز الصفة في المسجد وجواز المبيت فيه بلا كراهة وهو مذهبنا ومذهب الجمهور ـ ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦ ـ ٥٢٨).

(1) سئلت اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية ـ الفتوى رقم (9248) ـ: «هل يجوز إطلاق كلمة الشهيد على كل من استبان لنا منه أنه من أهل الصلاح والتقوى، ثم قتل في سبيل اللَّه، فهل يجوز لنا أن نقول عنه شهيد؟

فأجابت بما يلي: من قتل في سبيل الله في معركة مع العدو، وهو صابر محتسب فهو شهيد معركة، لا يغسل ولا يكفن، بل يدفن بملابسه، وأما غير شهيد المعركة فهو كثير، ويسمى شهيداً؛ كمن قتل دون عرضه، أو نفسه، أو ماله، وكالمبطون والمطعون، والغريق نحوهم، وهذا يغسل ويكفن ويصلى عليه.

وباللَّه التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	**عبد الله بن غديان**	**عبد الرزاق عفيفي**	**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**

اسْتَثْنَىٰ بَعْضَ نِسَائِهِ) قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ. قَالَ: فَخَرَجَ رَسُول اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ. فَقَالَ: «إِنَّ لَنا طَلِبَةً. فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ. فَقَالَ: «لَا. إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً» فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ. حَتَّىٰ سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ. وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمواتُ وَالأَرْضُ».

قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمواتُ وَالأَرْضِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ».

قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قال: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هٰذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ. لفظ مسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم (6 ـ 526 ـ 527): قوله: «جاء رجل من بني النبيت» هو بنون مفتوحة ثم باء مكسورة ثم مثناة تحت ساكنة ثم مثناة فوق، وهم قبيلة من الأنصار كما ذكر في الكتاب.

قوله: «بعث رسول الله ﷺ بسيسة عيناً» هكذا هو في جميع النسخ بسيسة بباء موحدة مضمومة وبسينين مهملتين مفتوحتين بينهما ياء مثناة تحت ساكنة، قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ، قال: وكذا رواه أبو داود وأصحاب الحديث، قال: والمعروف في كتب السيرة بسبس بباءين موحدتين مفتوحتين بينهما سين ساكنة وهو بسبس بن عمرو، ويقال ابن بشر من الأنصار من الخزرج، ويقال حليف لهم، قلت: يجوز أن يكون أحد اللفظين اسماً له والآخر لقباً.

وقوله: «عيناً» أي متجسساً ورقيباً.

قوله: «ما صنعت عير أبي سفيان» هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره من الأمتعة، قال في «المشارق»: العير هي الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات، قال: ولا تسمى عيراً إلا إذا كانت كذلك، وقال الجوهري في «الصحاح»: العير الإبل تحمل الميرة وجمعها عيرات بكسر العين وفتح الياء.

وقوله ﷺ: «إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب» هي بفتح الطاء وكسر اللام أي شيئاً نطلبه والظهر الدواب التي تركب.

قوله: «فجعل رجال يستأذنونه ظهرانهم» هو بضم الظاء وإسكان الهاء أي مركوباتهم، في هذا استحباب التورية في الحرب، وأن لا يبين الإمام جهة إغارته وإغارة سراياه لئلا يشيع ذلك فيحذرهم العدو.

قوله: «في علو المدينة» بضم العين وكسرها.

قوله ﷺ: «لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه» أي: قدامه متقدماً في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها.

قوله: «عمير بن الحمام» بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم.

قوله: «بخ بخ» فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منوناً: وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

قوله: «لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها» هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة رجاءة بالمد ونصب التاء، وفي بعضها رجاء بلا تنوين وفي بعضها بالتنوين ممدودان بحذف التاء وكله صحيح معروف في اللغة، ومعناه والله فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها.

قوله: «فأخرج تمرات من قرنه» هو بقاف وراء مفتوحتين ثم نون أي جعبة النشاب، وقع في بعض نسخ المغاربة فيه تصحيف.

قوله: «لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل» فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء[1].

---

(1) سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في «المملكة العربية السعودية» ـ الفتوى ـ رقم (10719): يدعي بعض أعداء الدين أن الإسلام قد انتشر بحد السيف، فما رد فضيلتكم على ذلك؟

فأجابت بما يلي: الإسلام انتشر بالحجة والبيان بالنسبة لمن استمع البلاغ واستجاب له، وانتشر بالقوة والسيف بالنسبة لمن عاند وكابر حتى غُلِب على أمره، فذهب عناده فأسلم لذلك الواقع.

وباللَّه التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله صحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	**عبد الله بن غديان**	**عبد الرزاق عفيفي**	**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**

درجات المجاهد في الجنة:

- روى مسلم (1884) والنسائي (3131) وسعيد بن منصور (2301)، وغيرهم، من طريق أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا أَبَا سَعِيدٍ! مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَالإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**» فَعَجِبَ لَهَا أَبو سَعِيدٍ.

فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ. يا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ. ثُمَّ قَالَ: «**وَأُخْرَىٰ يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ. مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» لفظ مسلم.

- **وروى** البخاري (3256) ومسلم (3831)، وغيرهما، واللفظ للبخاري، من طريق عطاءِ بنِ يَسارٍ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ أهلَ الجنةِ يتراؤون أهلَ الغُرَفِ من فَوقِهم كما يتراؤون الكوكبَ الدُّريَّ الغابرَ في الأفق منَ المشرقِ أو المغرب، لتَفاضلِ ما بينهم**.

قالوا: يا رسولَ الله، تلكَ مَنازلُ الأنبياءِ لا يَبلغُها غيرُهم؟ قال: **بلىٰ والذي نفسي بيدِهِ، رجالٌ آمَنوا باللهِ وصدَّقوا المرسلين**».

وقوله ﷺ: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**» قال القاضي عياض رحمه الله: يحتمل أن هذا على ظاهره وأن الدرجات هنا المنازل التي بعضها أرفع من بعض في الظاهر، وهذه صفة منازل الجنة كما جاء في أهل الغرف أنهم «**يتراؤون كالكوكب الدري**».

قال: ويحتمل أن المراد الرفعة بالمعنى من كثرة النعيم وعظيم الإحسان مما لم يخطر على قلب بشر ولا يصفه مخلوق، وأن أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلاً كثيراً، ويكون تباعده في الفضل كما بين السماء والأرض في البعد قال القاضي: والاحتمال الأول أظهر وهو كما قال والله أعلم. «شرح صحيح مسلم (٦ - ٥١١) للنووي».

وأما الكوكب الدري: فهو النجم الشديد الإضاءة. ومعنى «الغابر» أي الذاهب، يعني البعيد جداً. والله تعالى أعلم.

- وروى الإمام أحمد (8419) والبخاري (2790)، وغيرهما واللفظ للبخاري من طريق فُليحٌ عن هِلالِ بنِ عليٍّ عن عطاءِ بنِ يَسارٍ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**مَن آمَنَ بالله وبرسولِهِ وأَقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كان حَقّاً على الله أن يُدْخلَهُ الجنَّة، جاهدَ في سبيلِ الله أو جلَسَ في أَرضِهِ التي وُلِدَ فيها**». فقالوا: يا رسولَ الله، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: «**إِنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أَعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتَين كما بينَ السماءِ والأَرض إِذا سأَلتمُ الله فاسأَلوهُ الفِردَوسَ فإِنهُ أَوْسَطُ الجنة وأَعلى الجنة** ـ أُراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرّحمٰنِ ـ **ومنهُ تَفَجَّر أَنهارُ الجنة**». قال محمدُ بنُ فُلَيح عن أَبيهِ: «وفَوقَهُ عرشُ الرحمٰن».

- وروى البخاري (2791) من طريق رجاءٍ عن سَمُرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**رأَيتُ الليلةَ رجلَينِ أَتياني فصَعِدا بي الشجرةَ وأَدخلاني داراً هي أَحسنُ وأَفضلُ، لم أَر قطُّ أَحسنَ منها، قال: أَما هٰذهِ الدارُ فدارُ الشُّهداءِ**».

- ورواه ابن حبان (4659)، من طريق جرير بن حازم، قال: سَمِعْتُ أبا رجاءٍ العُطارديَّ يحدِّثُ عن سَمُرَةَ بنِ جندبٍ، قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا صَلَّى الغَدَاةَ، أَقْبَلَ علينَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: هَلْ رأى أَحَدٌ مِنْكُمُ الليلةَ رؤيا، فَسَأَلَنَا يَوْماً، ثُمَّ قالَ: «**أُرِيتُ الليلة رَجُلَيْنِ أَتياني، فأَخَذا بِيَدي، فَصَعِدَا بي في الشَّجَرةِ، فأدخلاني داراً لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فَقَالَ: أَمَّا هٰذهِ الدَّارُ، فَدَارُ الشُّهَدَاءِ**».

- وروى الإمام أحمد (2390)، والطبراني في «الكبير»(10825) وابن حبان (4658)، وغيرهم، بإسناد جيد، من حديث عبد الله بن عباسٍ ﷺ، قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشُّهداءُ على بَارِقِ نهْرٍ ببابِ الجنَّةِ في قُبَّةٍ خَضْراءَ، يَخْرُجُ إليهم رِزْقُهم من الجنَّةِ بُكْرةً وعَشِيّاً**»، لفظ ابن حبان.

الشهيد وقُربه من درجة النبيين:

- روى الإمام أحمد (17657) والدارمي (2411) وابن حبان (4663)، وغيرهم، واللفظ لأحمد، من حديث عُتْبة بن عبدٍ السُّلمي ـ وكان من أصحاب النبيِّ ﷺ ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**القتلُ**[1] **ثلاثةٌ: رجلٌ مُؤمِنٌ جاهَدَ بِنَفْسِهِ ومالِه في سَبيلِ الله، حتّى**

(1) وعند ابن حبان: «**القتلى ثلاثة..**».

إذا لَقِيَ العَدُوَّ قاتَلَهم حَتَّىٰ يُقتَلَ، فذلكَ الشَّهيدُ المُمْتَحَنُ في خَيْمَةِ الله تَحْتَ عَرْشِه، لا يَفْضُلُه النَّبِيُّونَ إلا بدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ.

ورجلٌ مُؤمِنٌ قَرَفَ على نَفْسِه من الذنوبِ والخَطايا، جاهَدَ بِنَفْسه ومالِه في سَبيلِ الله، حتى إذا لَقِيَ العَدُوَّ قاتلَ حَتَّىٰ يُقْتَلَ، فَمُصَمْصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَه وخَطاياهُ، إنَّ السَّيفَ مَحَّاءُ الخطايا، وأُدخِلَ مَن أيِّ أبوابِ الجَنَّةِ شاءَ، فإنَّ لها ثمانيةَ أبوابٍ، ولجَهَنَّمَ سبعةَ أبوابٍ، وبعضُها أسفَلُ، مِن بعض.

ورجلٌ مُنافِقٌ جاهَدَ بِنَفْسِهِ ومالِه، حَتَّىٰ إذا لَقِيَ العَدُوَّ قاتَلَ في سَبيلِ الله حَتَّىٰ يُقْتَلَ، فإنَّ ذٰلكَ في النَّارِ، السَّيفُ لا يَمْحُو النِّفاقَ».

وقوله ﷺ: «الشهيد الممتحن» قال ابن الأثير: والمصفى المهذَّب.

ومعنى قوله ﷺ: «في خيمة الله» الخيمة معروفة، ومنه خيم بالمكان، أي: أقام فيه وسكنه، فاستعارها لظل رحمة الله ورضوانه وأمنه.

وقوله ﷺ: «رجلٌ مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا» أي كسبها، يقال: قرف الذنب واقترفه؛ إذا عمله.

وقوله ﷺ: «فمصمصة محت ذنوبه» أي مطهرة خلصته من ذنوبه. يقال: مصمص إناءه، إذا جعل فيه الماء وحركه لينظفه.

شفاعة الشهيد يوم القيامة، وكرامته على ربه جلَّ وعلا:

قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: 255].

وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: 3].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: 109].

- روى الإمام أحمد (17182) والترمذي (1663) وابن ماجه (2799) وغيرهم، إسناد حسن، واللفظ لأحمد، قال: حدثنا إسحاقُ بنُ عيسى والحَكَمُ بنُ نافع، قالا: حدثنا إسماعيلُ بن عياش، عن بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب الكندي: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ لِلشَّهِيدِ عند الله** عَزَّ وَجَلَّ قال الحكم:

ستَّ خصالٍ[1] ـ أَن يَغْفِرَ لَهُ في أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، ويَرَى ـ قال الحكم: ويُرَى ـ مَقْعَدَهُ

(1) روى الإمام أحمد (17783)، وغيره بإسناد حسن، من طريق مَكْحولٍ، عن كَثِير بن مُرَّة عن قَيْس الجُذَامِي، رجل كانت له صحبةٌ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خَصالٍ عندَ أولِ قَطْرةٍ من دَمِه: يُكَفَّرُ عنه كلُّ خَطِيئةٍ، ويُرَى مَقْعَدَه من الجَنَّةِ ويُزَوَّجُ من الحُورِ العِينِ، ويُؤْمَنُ مِن الفَزَعِ الأكبَرِ، ومِن عذابِ القَبْرِ، ويُحَلَّى حُلَّةَ الإيمانِ».

سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية ـ الفتوى رقم (٢٤٦١) حول إذن الوالدين في الجهاد.

السؤال: أرجو الاستفسار عن الجهاد في سبيل اللَّه، علماً بأني أكبر إخواني، ووالدي متوفى، وأمي موجودة، ولي زوجة وأطفال، وقد طلبت موافقة والدتي على الجهاد فرفضت؛ فهل لي جهاد؟

الجواب: الجهاد من أفضل الأعمال، كذلك برّ الوالدين، وإذا أراد الشخص أن يذهب إلى الجهاد الشرعي فإنه يستأذنهما، فإن أذنا له وإلا فلا يذهب إلى الجهاد، بل يلزمهما، فإنَّ لزومهما أو لزوم أحدهما نوع من أنواع الجهاد، والأصل في ذلك ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: (سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى اللَّه؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «برّ الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل اللَّه»، حدثني بهن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني) متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد») رواه البخاري والنسائي وأبو داود والترمذي وصححه.

وفي رواية: (أتى رجل فقال: يا رسول اللَّه: إني جئت أريد الجهاد معك، ولقد أتيت وإن والدَيَّ يبكيان، قال: «فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما») رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وعن أبي سعيد ﷺ، أن رجلاً هاجر إلى النبي ﷺ من اليمن، فقال: «هل لك أحد باليمن؟» فقال: أبواي، فقال: «أذنا لك؟»، قال: لا، قال: «فارجع إليهما، فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما»، رواه أبو داود.

وعن معاوية بن جاهمة السلمي، أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك، فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم، فقال: «الزمها؛ فإن الجنة عند رجليها» رواه أحمد والنسائي.

وهذه الأدلة كلها وما جاء في معناها لمن لم يتعين عليه الجهاد، فإذا تعين عليه فترْكُه معصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن الجهاد المتعين أن يحضر بين الصفين أو يستنفره الإمام. =

مِنَ الجَنَّة، ويُحلى حُلَّة الإيمانِ، ويُزَوَّجَ من الحُورِ العِينِ، ويُجارَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ويَأْمَنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ـ قال الحكم: يَوْم الفَزَعِ الأَكْبَرِ ـ ويُوْضَعَ عَلى رَأْسِهِ تاجُ الوَقَارِ، الياقوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها، ويُزَوّجَ اثْنَتَيْنِ وسَبعينَ زَوْجَةً من الحُورِ العينِ، ويُشفَّع في سبعينَ إنساناً مِنْ أَقَارِبِه».

وقوله ﷺ: «ويرى مقعده من الجنة» وذلك لحظة استشهاده وأما «حلة الإيمان» فلا يعلم صفتها إلا الله تعالى. والله أعلم، في الحديث عِظم كرامة الشهيد على الله تعالى، وفضل الشهادة والحث عليها في مظانها. جعلنا الله تعالى من أهلها.

- وروى أبو داود (2522) وابن حبان (4660) والبيهقي (9/ 164)، وغيرهم من طريق الوليد بن رباح الذَّماريّ، عن نِمرانَ بنِ عُتبة الذِّماري، قال: دَخلنا على أمِّ الدرداء ونَحْنُ أيتامٌ صِغَارٌ، فَمَسَحَتْ رؤوسَنا، وقالَتْ: أَبْشِرُوا يا بَنِيَّ، فإنِّي أَرْجُو أنْ تَكُونُوا في شَفَاعَةِ أَبيكُمْ. فإنِّي سَمِعْتُ أبا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الشَّهِيدُ يَشْفَعُ في سَبْعينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ». لفظ ابن حبان، وهو حديث حسن.

ـ في الألم الذي يجده الشهيد لحظة استشهاده:

- روى الإمام أحمد (7958) والترمذي (1668) والنسائي (3161) وغيرهم، بإسناد حسن، واللفظ للترمذي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «ما يَجِدُ الشَّهيدُ من مسِّ القَتْلِ، إلَّا كما يجدُ أَحَدُكُم من مسِّ القَرْصَةِ» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

تمنيات الشهداء عند ربهم جلَّ وعلا بالرجوع إلى الدُّنيا مرَّة ثانيةً لما يرونه من العزِّ والكرامة:

- روى الإمام أحمد (12275) والبخاري (2817) ومسلم (1877) وغيرهم، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أن

= وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

يَرْجِعَ إلى الدُّنيا، ولهُ ما على الأرضِ مِنْ شيءٍ إلا الشّهيدَ، فإنهُ يتمنَّى أن يَرْجِعَ إلى الدُّنيا فَيُقتلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِن الكَرَامَةِ».

وقد جاء في لفظ عند البخاري (2795) من طريق مُعاويةُ بنُ عمرٍو حدَّثَنا أبو إسحاقَ عن حُميدٍ قال: سمعتُ أَنَسَ بنَ مالكٍ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما من عبدٍ يموتُ لهُ عندَ الله خيرٌ يسرُّهُ أَن يرجعَ إلى الدنيا وأَنَّ لهُ الدُّنيا وما فيها، إلا الشهيدُ لما يَرى من فضلِ الشهادة، فإنهُ يسرُّهُ أَن يرجعَ إلى الدُّنيا فَيُقْتَلَ مرَّةً أُخرىٰ».

- ورواه مسلم من طريق قَتَادَةَ؛ وَحُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ».

- وروى الإمام أحمد (12291) والنسائي (3160) وابن حبان (7350) وغيرهم، بإسناد صحيح على شرط مسلم، واللفظ للنسائي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلّ: يا ٱبْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ خَيْرَ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ، فَيَقُولُ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ».

- ورواه الحاكم (2452/ 2)، أيضاً، بإسناد صحيح، بأتم منه من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقولُ الله لَهُ: يا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ يَقولُ: أَي رَبِّ خَيْرَ مَنْزِلٍ، فَيَقولُ: سَلْ وَتَمَنَّ، فَيَقُولُ: ما أَسْأَلُكَ وَأَتَمَنَّى أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّني إِلى الدُّنْيا، فأقْتل فِي سَبيلِكَ عَشْرَ مَرَاتٍ، لِما رَأَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ قالَ: وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النّارِ فَيقولُ الله: يا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيقولُ: أَيّ رَبّ شَرَّ مَنْزِل، فَيقولُ الرَّبُّ ﷻ: فَتَفْتَدي مِنْهُ بِطلاعِ الْأَرْضِ ذَهَباً؟ فَيقولُ: نعم، فيقول: كَذَبْتَ قَدْ سَأَلْتُكَ دونَ ذٰلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ».

- وروى البخاري (2797) ومسلم (1876) وغيرهما، واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أَنَّ رِجالاً منَ المؤمنينَ لا تَطيبُ أَنفُسُهُم أَن يَتخلَّفوا عني، ولا أجدُ ما أَحملهم عليه، ما تخلَّفتُ عن سَريةٍ تغزو في سَبيلِ الله، والذي نفسي بيدِه لَوَدِدْتُ أَني أُقتَلُ في سبيلِ الله ثمَّ أَحيا ثمَّ أُقتل ثُمَّ أَحيا، ثمَّ أُقتلُ ثمَّ أَحيا، ثم أُقتل».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله ﷺ: «**ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد**» إلى آخره هذا من صرائح الأدلة في عظيم فضل الشهادة والله المحمود المشكور، وأما سبب تسميته شهيداً فقال النضر بن شميل: لأنه حي فإن أرواحهم شهدت وحضرت دار السلام وأرواح غيرهم إنما تشهدها يوم القيامة. وقال ابن الأنباري: لأن الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام يشهدون له بالجنة، وقيل لأنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالى له من الثواب والكرامة، وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه، وقيل لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، وقيل لأن عليه شاهداً بكونه شهيداً وهو الدم، وقيل لأنه ممن يشهد على الأمم يوم القيامة بإبلاغ الرسل الرسالة إليهم وعلى هذا القول يشاركهم غيرهم في هذا الوصف. «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٥٠٧).

فيمن طلب الشهادة من الله تعالى بصدق:

قال الله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 3].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23].

وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ [الأحزاب: 35].

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

- روى الإمام مسلم (1908) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «**من طَلَبَ الشهادة صَادِقاً، أُعطيَهَا ولو لم تُصِبْهُ**».

- وروى مسلم (1909) أيضاً وأبو داود (1520) والنسائي في «المجتبى» (3162)، وغيرهم من طريق سهل بن حُنيف، عن أبيه، عن جَدِّهِ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بصِدقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَداءِ، وإنْ ماتَ على فِراشِهِ**» لفظ مسلم.

ومعنى الحديثين، أن من سأل الله الشهادة صادقاً من قلبه، وسعى لها، ولم يتحصل عليها، أُعطي من ثواب الشهداء، وإن توفي على فراشه. وفي الحديث أن نية المرء خير من عمله. والله تعالى أعلم.

قصة من رُزِقَ الشهادة بصدق نيته:

- روى النسائي في «المجتبى» (1952) والحاكم (6527) والبيهقي (4/ 15/ 16)، وغيرهم، بإسناد حسن، من طريق عِكرمة بن خالدٍ، أنَّ ابْنَ أَبِي عَمَّارٍ أَخْبَرَه عَنْ شَدَّادِ ابْنِ الْهَادِ «أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَه، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْياً فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا هٰذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا هٰذَا؟ قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**»، قَالَ: مَا عَلَىٰ هٰذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلٰكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمىٰ إِلَى هَهُنا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**»، فَلَبِثُوا قَلِيلاً ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ**»؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ، **اللَّهُمَّ هٰذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِراً فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيداً أَنَا شَهِيدٌ على ذٰلِكَ**».

وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (4/ 193)، من طريق البيهقي، من طريق أبي الأزهر قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: «نعم» فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول فقال: «**لقد حسن الله وجهك وطيب ربعك وكثر مالك**» وقال: «**لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته**».

ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد عن ابن أبي عمار عن شداد بن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه.

فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ فقسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ! فقال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به رسول الله ﷺ يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ: «هو هو»؟ قالوا نعم. قال: «صدق الله فصدقه».

وكفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته: «اللّهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد».

المجاهدون هم السابقون إلى دخول الجنة:

- روى الإمام أحمد (6570) والبزّار (3665) وابن حبان (7421)، وغيرهم بإسناد جيد، واللفظ لأحمد، من طريق أبي عُشَّانَةَ المَعَافِري عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هَلْ تَدْرُون أوَّلَ مَنْ يَدخل الجنةَ من خلق الله؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «أوَّلُ مَن يدخل الجنةَ مِن خَلْقِ الله الفقراءُ المهاجرون، الذين تُسَدُّ بهم الثُّغور، ويُتَّقَى بهمُ المكارِهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدره، لا يستطيعُ لها قَضَاءً، فيقول اللهُ عز وجل لمن يشاءُ من ملائكته: ائتوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فتقولُ الملائكة: نحن سُكَّان سمائِك، وخِيرَتُك من خَلْقِك، أفتَأمُرُنا أن نأتيَ هؤلاءِ فنُسَلِّمَ عليهم؟ قال: إنهم كانوا عِبَاداً يعبدوني، لا يُشْرِكون بي شيئاً، وتُسَدُّ بهم الثُّغورُ، ويُتَّقَى بهمُ المَكَارِهُ، ويموتُ أَحدُهم وحاجتُه في صَدْره، لا يستطيعُ لها قضاءً، قال: فتأتيهم الملائكةُ عند ذلك، فيدخلونَ عليهم من كُلِّ بابٍ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 24].

- ورواه أحمد (6571)، أيضاً بإسناد حسن، من طريق ابن لهيعة، قال: حدثنا أبو عُشانة، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقولُ: سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ أَولَ ثُلَّة تَدْخُلُ الجنةَ لَفُقَرَاءُ المُهاجرين، الذين يُتَّقَى بهمُ المكارهُ، وإذا أُمِرُوا، سَمِعُوا وأَطاعوا، وإذا كانت لرجلٍ منهم حاجةٌ إلى السلطان لم تُقْضَ له، حتى يموتَ وهي في صدره، وإنَّ الله عز وجل يدعو يومَ القيامةِ الجنةَ، فتأتي بِزُخْرُفِها وزِينتها، فيقولُ: أيْ عِبَادِي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتلوا، وأُوذُوا في سبيلي، وجاهَدوا في سبيلي، ادْخُلُوا الجنة. فيَدْخُلُونَها بغيرِ حِسابٍ ولا عذابٍ» وذَكر الحديثَ.

- وأخرجه الحاكم (2389) بإسناد صحيح على شرط مسلم، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (4260) من طريق عبد الله بن وهب، عن سعيد بن أبي أيوب، عن عيّاش بن عبّاس (هو القتباني)، عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلي، عن عبد الله ابن عمرو، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتعلمُ أولَ زُمرةٍ تدخُلُ الجنةَ من أمتي؟»

قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فقراءُ المهاجرين، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة، ويستفتحون، فتقولُ لهم الخزنةُ: أوقد حُوسِبتم؟ قالوا: بأيِّ شيءٍ تُحاسبونا، وإنما كانت أسيافُنا على عواتِقِنا في سبيل الله حتى مِتنا على ذلك. قال: فيُفتح لهم، فيَقِيلون فيها أربعين عاماً قبل أن يدخُلها الناس**».

وقوله ﷺ: «تُسَدُّ بهم الثُّغور»: الثَّغر: هو موضع يكون حدّاً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد، والمراد: أنهم يُقَدَّمون إلى الثغور والمكاره، ويُبعثون إليهما حتى لا تدخل الكفرة بلاد الإسلام من الثغور وحتى تندفع المكاره.

نصيحة نبوية بالجهاد في سبيل الله تعالى:

- روى الإمام أحمد (22719) والشاشي (1174) والحاكم (2451/ 2) وغيرهم، بإسناد حسن، من طريق أبي أمامة، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالجهادِ في سَبيلِ الله، فَإِنَّهُ بابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يُذْهِبُ الله بِهِ الهَمَّ وَالغَمَّ**». وزاد فيه غيره: «**وَجاهِدوا فِي سَبيلِ الله الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَأَقِيموا حُدود الله فِي القَرِيبِ وَالبَعِيدِ، وَلا تَأْخُذُكُمْ في الله لَوْمَةَ لَائِم**». لفظ الحاكم.

في صفة من مات ولم يجاهد أو لم يُحدث نفسه بالجهاد في سبيل الله تعالى:

- روى الإمام أحمد (8874) ومسلم (1910) وأبو داود (2502)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قالَ: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «**من مَاتَ ولم يَغْزُ، ولم يُحدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ على شُعْبَةٍ من نِفَاقٍ**» لفظ مسلم.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**. . مات على شعبة من نفاق**» أي على طريقة من طُرق النفاق ومرض القلب، ذلك أن الذي لا يهتم بأمر إسلامه ولا بأمر المسلمين ولا يهمه إلا نفسه، ويؤثر مصلحته الشخصية على حساب دينه ـ وعلى وجه الخصوص إذا كان الأعداء ظاهرين على المسلمين.

فهذا المتقاعس عن واجبه الشرعي تجاه نفسه وتجاه المسلمين، فإنما هو على خطر عظيم. ذلك أن مرض ضعف الإيمان قد استولى على لُبِّه، واستحوذ على فكره وقلبه.

قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]، وقال تعالى يفضح

سرائر هؤلاء المرضى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد ﷺ: 20 ـ 31].

إذن الوالدين في الجهاد في سبيل الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: 23، 24].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: 14، 15].

- وروى الإمام أحمد (6779) والبخاري (3004) ومسلم (2549) وغيرهم، واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فاستأذنهُ في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداكَ**»؟. قال: نَعَمْ. قالَ ﷺ: «**فَفِيهِمَا فجاهِد**».

وقد جاء في رواية عند مسلم (85/ 138)، بلفظ: قُلْتُ: يا نبي الله، أيُّ الأَعْمالِ أقربُ إلى الجنَّةِ؟ قال ﷺ: «**الصلاة على مواقيتها**».

قُلْتُ: وماذَا يا نَبيَّ اللهِ؟

قال ﷺ: «بِرُّ الوَالدَيْنِ».

قُلْتُ: وماذا يا نبيَّ اللهِ؟

قال: «الجهادُ في سَبيلِ اللهِ».

- وروى الإمام أحمد (3890) والبخاري (2782) ومسلم (85)، وغيرهم، من حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، قال: سَأَلْتُ رسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: يا رسُولَ، أيُّ العَمَلِ أفضلُ؟

قال ﷺ: «الصَّلَاةُ على ميقاتِها».

قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟

قال ﷺ: ثُمَّ برُّ الوَالِدَيْنِ».

قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟

قال ﷺ: «الجهادُ في سَبيلِ اللهِ».

فسكتُّ عن رسُولِ اللهِ ﷺ، ولو استزدته لزادني. لفظ البخاري.

- وروى الإمام أحمد (6490) والنسائي (4163) وابن ماجه (2782) وغيرهم، بإسناد حسن، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ! إِنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبتَغِي وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. وَلَقَدْ أَتَيْتُ، وَإِنَّ وَالِدَيَّ لَيَبْكِيَانِ. قَالَ «فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا». لفظ ابن ماجه.

- وروى الإمام أحمد (15538)، والنسائي (3104) وابن ماجه (2781) وغيرهم، بإسناد حسن أيضاً، واللفظ لابن ماجه من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ رضي الله عنه ؛ قَالَ أَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ اللهِ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. قَالَ: «وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «ارْجِعْ فَبَرَّهَا» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ. أَبْتَغِي بِذلِكَ وَجهَ اللهِ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَ: «وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّها» ثُمَّ أَتَيْتهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ

الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. قَالَ: «**وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**وَيْحَكَ! الْزَم رِجْلَهَا. فَثَمَّ الْجَنَّةُ**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

قوله ﷺ: «**فيهما فجاهد**» أي خصصهما بجهاد النفس في رضاهما، ويستفاد منه جواز التعبير عن الشيء بضده إذا فهم المعنى، لأن صيغة الأمر في قوله: «**فجاهد**» ظاهرها إيصال الضرر الذي كان يحصل لغيرهما لهما، وليس ذلك مراداً قطعاً وإنما المراد إيصال القدر المشترك من كلفة الجهاد وهو تعب البدن والمال، ويؤخذ منه أن كل شيء يتعب النفس يسمى جهاداً، وفيه أن برّ الوالد قد يكون أفضل من الجهاد، وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة، وأن المكلف يستفصل عن الأفضل في أعمال الطاعة ليعمل به لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه فدل على ما هو أفضل منه في حقه، ولولا السؤال ما حصل له العلم بذلك.

ولمسلم وسعيد بن منصور من طريق ناعم مولى أم سلمة عن عبد الله بن عمرو في نحو هذه القصة قال: «**ارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**».

ولأبي داود وابن حبان من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو «**ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما**» وأصرح من ذلك حديث أبي سعيد عند أبي داود بلفظ «**ارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما**» وصححه ابن حبان.

قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين، لأن برهما فرض عين عليه والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا إذن.

ويشهد له ما أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال، قال: **الصلاة**. قال: ثم مه؟ قال: **الجهاد** قال: فإن لي والدين، فقال: آمرك بوالديك خيراً. فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لأجاهدن ولأتركنهما قال: **فأنت أعلم**».

وهو محمول على جهاد فرض العين توفيقاً بين الحديثين، وهل يلحق الجد والجدة بالأبوين في ذلك؟ الأصح عند الشافعية نعم، والأصح أيضاً لا يفرق بين الحر والرقيق في ذلك لشمول طلب البرّ، فلو كان الولد رقيقاً فأذن له سيده لم يعتبر إذن أبويه، ولهما الرجوع في الإذن إلا إن حضر الصف، وكذا لو شرطا أن لا يقاتل فحضر الصف فلا أثر للشرط.

واستدل به على تحريم السفر بغير إذن لأن الجهاد إذا منع مع فضيلته فالسفر المباح أولى نعم إن كان سفره لتعلم فرض عين حيث يتعين السفر طريقاً إليه فلا منع، وإن كان فرض كفاية ففيه خلاف. وفي الحديث فضل برّ الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على برّهما. «فتح الباري» (٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

وأما قوله ﷺ: «الصلاة على ميقاتها»... «ثم برّ الوالدين».. ثم قال: «الجهاد في سبيل الله» قال الحافظ ابن حجر: الذي يظهر أن تقديم الصلاة على الجهاد والبرّ لكونها لازمة للمكلف في كل أحيانه، وتقديم البرّ على الجهاد لتوقفه على إذن الأبوين. وقال الطبري: إنما خص ﷺ هذه الثلاثة بالذكر لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات، فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها عليه وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع، ومن لم يبرّ والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل براً، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك، فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع «فتح الباري» (٦ ـ ٧٩).

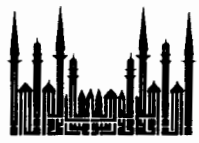

obeikandl.com